

السيمائية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة وصفية تحليلية في نموذج السعيد بوتاجين

The Narrative Semiotic In the Algerian Criticism; Analyzing and Describing Study in the Said Butajin Model.

* مريم شويشي

Meryem Chouichi

مختبر المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب ، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

University Mustapha Stambouli – mascara – Algeria

meryemch14@gmail.com

| | | |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2021/06/02 | تاريخ القبول: 2020/11/28 | تاريخ الإرسال: 2020/11/04 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

ملخص البحث

يهدف البحث إلى استجلاء مظاهر النقد السيميائي السردية في النقد الجزائري، وقد اخترنا لذلك كتاب الناقد "السعيد بوتاجين" (الاشتغال العاملي؛ دراسة سيميائية لرواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة) كنموذج للبحث، وقد تتبعنا بالوصف والتشريح والتحليل كيفية تبنى الناقد لهذا المنهج في جانبه التطبيقي، وعلى ضوء ذلك جاء البحث في جزئيتين: ركزنا في الأولى منها على عرض الأصول الفلسفية والمصادر المعرفية التي كانت أطرت المنهج، وكذا أهم المبادئ التي انبنى عليها، في حين ركزنا في الجزئية الثانية على رصد خصائص مقاربة الناقد "بوتاجين" كما سيظهر الوصف والتحليل.

الكلمات المفتاح : سيميائية سردية، نقد جزائري، ذوات ، ترسيمة سردية.

Abstract:

The present paper attempts at exploring the aspects of narrative semiotic criticism in Algerian criticism; accordingly, we have chosen the book of the critic "Al SaiddButajin" (the Actantial Model, A Semiotic Study of the novel: "Ghadan yawm jadid"(Tomorrow is A New Day) by Abd El-Hamid Ben Hadouga) as a study case, describing and explaining his application of such approach in the practical part. Within this framework, the research is divided into two parts: in the first one we focused on presenting the philosophical roots and the epistemological sources that framed the

*شويشي مريم meryemch14@gmail.com

approach, as well as the most important principles on which they were built, while we dealt in the second part with the characteristics of the approach of the critic "Butajin" through our description and analysis.

Keywords: Narrative Semiotic, Algerian Criticism, Subjects, Narratif schema.



أولا . الخلفيات الفلسفية للسيمائية السردية:

يعود ظهور السلوك السيميائي منذ انفصل الإنسان عن حياته الموحشة وبدأ ييلور أدوات تواصلية جديدة تتجاوز الاستعمال العشوائي للحسد والإيماءات، ثم تبلورت أشكال رمزية استمدت قيمتها التعبيرية من العرف والتواضع وهو ما أطلق عليه "كاسير" الأشكال الرمزية.¹ فالعلامة موجودة منذ القدم باعتبارها أولى الوسائل التي فصلت الإنسان عن الطبيعة الموحشة وأصبحت موضع التساؤل والنقاش في الأعمال الفلسفية الكبرى؛ إذ جعل "أمبرتو إيكو" Umberto Eco من الخطاب الفلسفي خطابا تأسيسيا للسيمائيات العامة، واعتبر أنها ذات طبيعة فلسفية؛ لأنها "لا تدرس نظاما معينا، ولكنها تطرح مقولات عامة يمكن في ضوءها مقارنة أنظمة مختلفة فيما بينها والخطاب الفلسفي بالنسبة إلى السيميائية العامة ليس محبذا أو أكيدا، بل هو بكل بساطة تأسيسية"²، مما يعني أن جملة من القضايا التي تدخل في اهتمامات السيميائية نجد لها جذور في الفلسفات القديمة، وبما أن موضوع السيميائيات هو المعنى وأشكال وجوده فإنه لا يمكن تجاهل مقترحات الفلسفة في هذا المجال؛ فـ "فلسفة اللغة، من الرواقيين إلى كاسير، ومن القروسطيين إلى فيكو، ومن القديس أوغسطين إلى فتغنشتاين، لم تكف عن مساءلة أنساق العلامات، وبذلك تكون هذه الفلسفات قد طرحت بشكل جذري قضية السيميائيات"³.

أ) الفكر الأرسطي:

يعتبر "أرسطو طاليس" أن ما يخرج بالصوت دال على الآثار التي في النفس، وما يكتب دال على ما يخرج بالصوت، فاللغة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة فإن ما تتكون منه هو عبارة عن دلائل (Signes) ويبقى أن نعرف كيف تدل هذه الدلائل على ما تدل عليه⁴، وبهذا لا يصبح المعنى هدفا في حد ذاته، بل كوسيلة لاستجلاء الحقيقة التي تعددت طرق وسبل

الوصول إليها. كما تستوقفنا في فكره تلك الأهمية التي يوليها للعلاقة التي تربط بين الحدود المكونة للعلامة، فقد لاحظ "أرسطو". كما يوضح ذلك سعيد بن كراد. وهو يتأمل الوظيفة الكلامية أنّ الحوار الإنساني لا يتمّ إلا بوجود العناصر التالية: الكلام، الأشياء، الأفكار، الكتابة ولا يمكن لهذه العناصر الاشتغال مجتمعة دون وجود رابط يجعل منها كيانا قادرا على إنتاج دلالة. وهذا ما أطلق عليه 'سوسير' و'بورس' بعدها بسيرة التبدليل.⁵ أو المسار التوليدي كما جاء مع "أ. ج. غريماس" Greimas (1917/1992)، واستفاد منها (العلاقات) "غريماس" في البرنامج السردي Schéma Narratif من خلال ضبط العلاقة بين الفاعل وموضوع القيمة؛ إذ تكتسي هذه العلاقة مكانة خاصة في النص السردي فالقيمة لا تتحقق في تفردا ولا توظف لذاتها، بل تستمد وجودها من هذه الرغبة الدفينة التي تملك كيان الفاعل وتقوده إلى الصراع من أجلها وتملكها"⁶.

كما نلمس حضور الفكر الأرسطي في السيميائية النصية من خلال النظريات التي طرحها في كتابه "العبارة" وهما (نظرية التقابلات ونظرية منطق الجهات) والتي تجسدت فيما عرّف بالمرّبع المنطقي. فالنسقية الأرسطية كما يوضّح "أحمد يوسف" تلتفت إلى الأحكام الحملية التي تنفرّج إلى الكيف والكم والجهة، فالثنائية التي تنظم فيها الأحكام ترتكز على التقابل بين الإثبات والنفي ومنها (الثنائية) ينبثق مبدأ التناقض؛ إذ لا وجود لتناقض ما لم يكن هناك تطابق بين الإثبات والنفي، ويمكن أن نستوضح ذلك كما يلي: إذا كانت القضايا المتقابلة مختلفة في الكيف ومتشابهة في الكم (الحكم المثبت الكلي والحكم المنفي الكلي) وكان الكم كليا في القضيتين فإن العلاقة هنا علاقة تضاد، أما إذا كانت القضايا مختلفة كما وكيفيا (الحكم المثبت الكلي والحكم المنفي الجزئي وكذلك الحكم المنفي الكلي والحكم المثبت الجزئي) فإننا ندعو هذه العلاقة بالتناقض، وهو ما يشير إليه كل من "غريماس" و"جوزيف كورتيس" J. Courtés في المعجم المعلق؛ إذ أن أ/أ يستحيل وجودهما مجتمعين في آن واحد (علاقة تضاد)، وفي مقابل ذلك تبدو علاقة النفي جلية أ/لا أ التي تنجز على الحد أ (أو لا أ) التي ينبثق منها التناقض أ (أو لا أ) و يتوضح الأمر أكثر من خلال المخطط الآتي:⁷

أما منطق الجهات فيتحدّد كما يلي: الجهة المنطقية، الجهة المعرفية، الجهة المعيارية، جهة الحقيقة، وكل جهة لها صدى في المربع السيميائي وضّحها "محمد مفتاح" كما يلي:

الجهة المنطقية: وتتضمن . حسب أرسطو . (جهة الضرورة، جهة الإمكان، جهة الاستحالة) وقد تعرض لها كل من "غريماس" و"جوزيف كورتيس" لتحديد ملفوظ الحالة من جهات (الضرورة، الإمكان، الاحتمال، الاستحالة).

الجهة المعرفية: وتشتمل اليقين، الاحتمال، الاستحالة، الوهم وكل جهة من هذه الجهات تتخذ لها موقعا في المربع السيميائي تتحكم فيها العلاقات (التناقض، التضاد، وعلاقة العموم بالخصوص إثباتا ونفيا).

الجهة المعيارية: ومحول منطق هذه الجهة هو الفعل "وجب" أو أي تعبير يؤدي معناه وهو يحدد قول الفعل، وقد انطلق المؤلفان من وجهتين متقابلتين: وجوب الفعل/ عدم وجوب الفعل.

جهة الحقيقة القولية: ومن هذه الجهة يكون الحديث عن كينونة الكينونة من الدرجات الآتية: الكينونة، الظهور، اللاظهور، اللاكينونة، وهو ما يقابله مربع المصادقية السيميائي⁸.

ب) الفكر النيتشوي:

استفاد "غريماس" أيضا من بعض المسائل المطروحة في الفكر النيتشوي (نيتشه)، كفكرة الإرادة في الفعل، التحول، الذات، الذات المضادة؛ ف "نيتشه" قد تكلم في كتابه "إرادة القوة" عن نظريته حول إرادة الفعل، والفعل المضاد، وصراع الذوات والقوى، ففي فكرة الإرادة في القوة اهتم بثلاث زوايا هي: الإحساس، الفكرة، الانفعال، على أنّ الإحساسات هي الاستعدادات للفعل والتهيؤ له، والأفكار هي ما يسيطر على الإرادة ويوجهها في حين تتعلق الانفعالات بإحساسات الإرغام، والضغط، والمقاومة، والحركة، فالإرادة تمر بهذه المراحل (الإحساس، الفكر، الانفعال) وقد تنتهي بالحكم على الإرادة بالفشل أو النجاح، وهو ما نجد عند "غريماس" في رسمه للخطاطة السردية التي تمر بأطوار (التحريك، الكفاءة، الانجاز، الجزاء)، فهو يرى أن هذه الخطاطة تشتغل في ظل وجود هيكل عام يحددها هو البرنامج السردى للفعل الذي يرتبط بمدى تحقيق الذات الفاعلة أو المنجزة لموضوع القيمة وقد تنتهي بالفشل أو النجاح⁹.

يقول "نيتشه" وهو بصدد حديثه عن صراع الذوات: أنه لا يمكن أن تظهر إرادة القوة إلا من خلال علاقة مقاومة؛ أي البحث عن وحدات عليا محددة، والوحدة تضم علاقة قوى

(هجوم/ مقاومة)، (فعل/ رد فعل) فكل ظاهرة في العالم يجب اعتبارها كتعبير عن صراع قوى بعضها ضد بعض وهو ما سنلاحظه عند "غريماس" في عوامل السرد للنموذج العاملي؛ إذ اعتمد على وجود الذات الذي يسعى لتحقيق الموضوع، وأيضا الذات المضادة أو المعارض الذي يعمل على عرقلة عامل الذات نحو تحقيق الموضوع ويقوم على برنامج سردي مضاد. وقد استنتج "غريماس" وجود برنامج سردي لعامل الذات نحو تحقيق الموضوع، وبرنامج سردي مضاد يسعى إلى الهيمنة، وهناك صراع بين هذه البرامج السردية حول تحقيق الموضوع. كما نجد أيضا صراعا بين الذوات؛ إذ نجد في نظرية "غريماس" أن هناك ذات (ذ1) تسعى إلى تحقيق الموضوع (م) و ذات (ذ2) تسعى أيضا إلى تحقيق الموضوع (م) و هناك صراع بينهما؛ أي بين (ذ1) و (ذ2) حول هذا الموضوع¹⁰

ثانيا. المصادر المعرفية والفكرية للسيميات السردية

أ) المصدر اللساني:

لقد ارتبطت السيميائية السردية بالإرث اللساني من خلال مجموعة من المفاهيم منها، جملة الثنائيات التي طرحها "فرديناند دي سوسير" (1913/1857) مثل: اللغة/الكلام، الوحدة/الاختلاف، الدال/المدلول،... وغيرها، ففي مقالته الشهيرة (راهنية النزعة السوسيرية) يشير "غريماس" إلى ضرورة الاستفادة (استفادة العلوم الإنسانية) من هذه الثنائيات، فـ "سوسير" استطاع أن يحول نظريته إلى نظرية في المعرفة ومنهجية للألسنية، فاللسانيات في نظره ليست إلا فرعا من هذا العلم العام (السيمياتiques) فالقوانين التي ستكتشفها هذه الأخيرة ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات¹¹. وفي موضع آخر أعلن "غريماس" (1956) عن توجهه الهيملسلفي بعد دراسته للعلاقة (السوسيرية والهيملسلافية)، جاكسون، هيملسلف¹². ومن هذه التصورات استلهم "غريماس" أدوات شكّلت الأساس الإجرائي لنظريته السيميائية، آخذا في اعتباره أهم الفرضيات التي قدمها "سوسير" وهو بصدد تعريفه للغة تتمثل في أن:

"اللغة موضوع شكلي؛ لأنها شكل لا جوهر، ذات طبيعة متجانسة و تحتمل التحليل.

. اللغة هي موضوع دلالي، هي هندسة الأشكال المشحونة بالدلالة.

. اللغة موضوع اجتماعي، تتضح طبيعة نظامها الاجتماعي على حد تعبير سوسير في كونها (لا توجد إلا بمقتضى عقد مبرم بين أعضاء الجماعة)¹³، وهذا بالنظر إلى كون السيميائية نظرية للمعنى، والانطلاقة كانت مع "سوسير" حين رأى أن المعنى لا يكون إلا مع وفي الاختلاف، وهو الأمر الذي ساهم في تقدم الأبحاث البنيوية وكان نقطة انطلاق السيميائية.¹⁴

ومن آثار الدرس اللساني في النظرية الغريماسية مبدأ (المحاثة) Immanence الذي يخضع فيه المعنى لقوانين داخلية مفصولة عن الواقع المرجعي وكل المعطيات الخارجية، وهذا ما نلمحه عند "دي سوسير" في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" وهو بصدد حديثه عن استقلالية اللسانيات موضوعا ومنهجيا، وقد عبّر عن مبدأ المحايثة باستناده إلى لعبة الشطرنج التي لا يشترط في فهم قواعدها العودة إلى أصولها¹⁵. كما نلمح هذا المبدأ عند "لويس بلمسلف" (1965/1899) الذي يقسم الدال والمدلول بطريقة رباعية كالتالي: شكل التعبير، شكل المحتوى، جوهر التعبير، جوهر المحتوى، وقد استندت النظرية السيميائية لمدرسة باريس في تحليلها لخطاب النص إلى هذه التقسيمات، بحيث يستهدف تحليلها السيميائي دراسة شكل المضمون للوصول إلى المعنى الذي يبني من خلال لعبة الاختلافات والتضاد، فما يهم المحلل السيميائي هو البحث عن دال أو شكل المدلول أو المحتوى.¹⁶ فالسيميائيات السردية تدرس النص بعيدا عن أي مؤثرات خارجية؛ لذا نجد البعض يدعوها بالسيميائيات المحايثة أو السيميائيات النصية.

وقد عمل السيميائيون . على صعيد معرفة كيفية تشكل المعنى . على تقسيم النص إلى مستويين: البنية السطحية والبنية العميقة Structure de surface/ Structure Profond مستلهمين هذا التصنيف من قواعد اللساني "نوام تشومسكي" Noam Chomsky الذي عاب على البنيويين والسلوكيين اكتفاءهم في تحليلاتهم بالبنية السطحية واعتبر انعدام التفسيرات العميقة نقطة ضعفهم¹⁷، وقد اعتمدت سيمياء "غريماس" على قواعده (تشومسكي) بحيث يتم على مستوى البنية السطحية دراسة البرنامج السردية ومكوناته، أما المستوى العميق للنص السردية فيدرس المكون الدلالي إلى جانب المكون المنطقي؛ وذلك باستقراء التشاكل والمربع السيميائي¹⁸.

وكما استفاد "غريماس" من تصورات "تشومسكي" حول البنيتين السطحية والعميقة استفاد كذلك من تصوراته حول اكتساب اللغة الذي لا يتأتى إلا من خلال ثنائيتي

الكفاءة/الأداء، بحيث تتجسد الكفاءة . في بعض جوانبها. من منظور "غريماس" "في ما يجعل الحدث ممكنا، ولا سيما تأهيل الذات على محاور الرغبة (الرغبة في العمل)، و/أو الواجب (وجوب العمل) ومحاور المعرفة (معرفة كيفية العمل) و/أو القدرة (أن تكون قادرة على العمل)¹⁹. وعلى هذا الأساس ميّز غريماس بين نوعين من الأداء: أحدهما يستهدف استحواذ قيم الجهة، والآخر يتميز بامتلاكه وإنتاجه القيم الوصفية²⁰.

نجد من الأبحاث اللسانية التي كانت مصدر إلهام "غريماس"، أبحاث "رومان جاكسون" حول نموذج التواصل المكون من ستة عناصر: المرسل، المرسل إليه، المرسل، المرسل، السياق، النظام، قناة الاتصال، وقد استفاد منه (غريماس) في النموذج العملي وتطويره انطلاقا من علاقة الفاعل بالمرسل والمرسل إليه في عملية تبليغ الرسالة، وكذا في إعداده للبنية الأساسية للدلالة المحققة للمربع السيميائي²¹.

وقد استندت السيميائية السردية في نظريتها العاملة إلى تصوّر لساني آخر يتمثل في النحو التوليدي لدى "تنيير" (الخاص بالجملة والذي يركز على العامل لتحديد نموذج الوحدة التركيبية)، والذي يعتبر الفعل مركز تنظيم العلاقات العاملة ومركز منظم للحدث، والأفعال نوعان: أفعال الحدث وأفعال الحالة؛ إذ يتركز في نموده على مطابقة الأدوار الدلالية مع العلاقات النحوية، فالعامل الفاعل دلاليا هو عينه الفاعل تركيبيا. ويقسم "تنيير" الملفوظ بالنظر إلى طبيعته إلى ثلاث مكونات: الفعل، الفاعل، المفعول به، ويرى أن أهمّ عنصر يضمن استمرارية هذا الملفوظ هو التوزيع الثابت والدائم للأدوار. أما طبيعة هذه الأدوار العاملة عند "غريماس" فقد أعيد صياغتها على شكل التقابلات التالية: ذات VS موضوع، مرسل VS مرسل إليه مفرقا بين العوامل النظامية والعوامل الوظيفية.²² وبهذا تجاوز "غريماس" حدود الجملة إلى بنية الخطاب.

ب) المصدر المعرفي:

انطلاقا من الإرث البروي (فلاديمير بروب)، والشتروسي (كلود ليفي شتراوس)، والدوميزالي (جورج دوميزال) الذي شكّل مصدر إلهام العديد من الأبحاث، راح "غريماس" يجتهد في بلورة معالم نموده في محاولة لإيجاد طريقة جديدة لمعالجة السرد، فالإنجازات التي قام بها الروسي "فلاديمير بروب" (1970/1895) "لا تزال تشجع كل تفكير في السردية"²³، وجديدة بأن تكمل بالنجاحات لولا الهفوات والنقائص التي طبعتها. وعلى الرغم من كل هذا يثمن

"غريماس" جهود "بروب"، فما قدمه نموذج "لا تكمن أهميته في عمق التحليلات التي تحتمله ولا في دقة العبارات، وإنما في فضل الإثارة وفي القدرة على إحداث فرضيات، إنه تجاوز لخصوصية الحكاية العجيبة، التي تخص مسعى السيميائية السردية منذ بدايتها.²⁴

كان مسعى "بروب" من خلال كتابه "مورفولوجية الحكاية العجيبة". الذي نشر عام 1928. الكشف عن الخصائص المشتركة التي تميز متن ومضمون الحكايات العجيبة عن غيرها من الخطابات السردية الأخرى (دراسة نوع محدد من السرد و اكتشاف ما يميزه عن غيره)، فقد قارن في دراسته بين مئة حكاية روسية عجيبة مستخلصا أنها ذات بنية سردية واحدة مشتركة تميز هذا النوع من القص، وللقيام بهذه المهمة عمل على إهمال ما أسماه بالقيم المتغيرة (أسماء وصفات الشخصيات)، واستخلص من مجمل الوسائل النظامية نفسها (ال 31 وظيفة البروبية) أن لها قابلية للاستغلال الدلالي، مثل ما يشهد على ذلك واقع أن المائة حكاية المدروسة، التي تحكي كل واحدة منها أحداثا مختلفة، تسمح لنا في هذه الحال أن نصل إلى حقيقة أن الشكل ثابت، وأن الدلالة متغيرة²⁵، فاصلا بين الشكل والمضمون. ولعل هذا الأمر هو ما شجع "كورتيس" على الخوض في تجربة جديدة تبني وجهة نظر معاكسة "تتكفل على أساسها بالمعطى الدلالي الواحد أبنية سردية مخالفة، حيث تعتبر التركيبية الدلالية حينئذ ثابتة، في الوقت الذي سيكون موقعها في مثل هذا المسار السردى متغيرا، (...) حيث اخترنا بعض القيم المتغيرة لدى "فلاديمير بروب" باعتبارها ثابتا، و أوضحنا بالاعتماد على النماذج إمكانية إيجاد دلالة حقيقية للحكاية السحرية²⁶.

وقد ركز "غريماس" محور اهتمامه . بعد مراجعته أعمال "بروب" . على مبدئي: البساطة والشمولية اللذين تتسم بهما الحكاية عموما، أين يتم تجاوز حدود الظاهر البسيط واستجلاء الباطن وما يعتره من دلالات. وقد اتضحت رؤيته أكثر حين عمل على إسقاط النموذج البروبي في الأدب الشفوي على الأدب المكتوب متجاوزا حدود الحكاية الشعبية إلى أدبية الخطاب في النصوص السردية عموما، وهي محاولة لبناء نظرية تحقق نسقا للخيال البشري؛ أي إيجاد نموذج مثالي وعمام يحتذى به²⁷، فقد "اهتم أكثر بالوظائف التي تكثف طابع الاستعصاء والتعقيد في الدراسة الشكلية للنصوص، واتفق مع "ليني سترومس" و"بروب" نفسه على وجوب اختزال عددها من إحدى وثلاثين وظيفة إلى عشرين، باستعمال ازدواجي لها وفي حدود مراعاة

العلاقات المنطقية لها، كأن تكون وظيفة "صراع" تستدعي "انتصار" ووظيفة "منع" تستدعي "حرقا له" وغيره"²⁸. فما يتغير . حسب بروب . هو الأسماء والصفات وما يبقى ثابتا هو الأفعال والوظائف، هذه الأخيرة التي ظلت مركز اهتمامه للبرهنة على وجود أوجه اختلاف/تشابه بين الحكايات؛ إذ ليس هنالك فارق بين الحكايات من حيث البناء الشكلي، وإنما يكمن الفارق في الجانب الدلالي.

وهو اقتراح لا يفهم منه محاولة اختصار الوظائف والاحتفاظ بأقل عدد ممكن منها بل يتعلّق الأمر بتكسير التتابع الخاصّ بالوظائف، وفي هذا الشأن يقترح "ستروس" تصوّرا قائما على التوافق المنسجم بين محوري التوزيع/ الاستبدال بغية الانتقال من الظاهر البسيط إلى الباطن العميق، فإذا كان النموذج البروبي ينظر إلى "وظائف الشخصيات" بوصفها عنصرا وملكا مشتركا بين جميع الحكايات الشعبية، وإذا كان يعطي الأهمية لدراسة أشكال الظواهر لكل حالات الحكاية فإن "كلود ليفي ستروس". كما يبين لنا سعيد بن كراد . يرى بأن "بروب" قد ضاع معه المضمون (مضمون الحكاية) وهذا ما رفضه وحاول البرهنة على عكس ما ذهب إليه بروب، معتمدا على نماذج حكائية من أمريكا، وهي نماذج تدحض الفصل بين الشكل والمضمون، فالفصل بينهما كما يرى ستروس . فصل فاسد وغير علمي . والأمثلة التي يقدمها تبين أن ما كان في نظر بروب عنصرا عرضيا وغير وظيفي سيصبح هو أساس الحكاية وأساس تلويها الثقافي؛ أي أن المضمون هو ما يؤسس خصوصياتها²⁹.

وقد التفت "غريماس" كذلك إلى مجالات الحدث (دوائر الفعل) السبعة عند "بروب" و المحددة كالآتي³⁰:

1. المعتدي أو الشرير.
2. الواهب أو المانح.
3. المساعد.
4. الأميرة.
5. الوسيلة أو المرسل.
6. البطل.

7. البطل المزيف. وقد استبدلها (دوائر الفعل) "غريماس" بثلاثة أزواج في شكل ثنائيات متعارضة تشتمل على كل الأدوار أو الذوات كآلاتي³¹:

فاعل/ مفعول

مُرسل/ مستقبل

مساعد/ معارض، و ترسم هذه الأزواج ثلاثة نماذج رئيسية يمكن أن تتكرر في كل ألوان

القص: 1. رغبة أو بحث (فاعل/ مفعول)

2. اتصال (مرسل/ مستقبل)

3. دعم ومساعدة إضافيين (مساعد/ معارض).

وقد مثلت هذه التعديلات طرحا جديدا للنموذج البروي، وهكذا "عوض الحديث عن الوظيفة، يجب الحديث عن الملفوظ السردى، وبدل الحديث عن دوائر الفعل، يجب الحديث عن العامل كبادرة للاستثمار الدلالي، وبدل النظرة التوزيعية، يجب التفكير في الكشف عن مستوى آخر لتنظيم السردية وهو ما توفره النظرة الاستبدالية، وبدل الحديث عن التابع الوظيفي يجب الحديث عن خطاطة سردية، تمثل تمفصلا منظما للنشاط الإنساني توزيعيا واستبداليا"³².

وتحضر. أيضا. أفكار الأسطوري "جورج دوميزال" (1986/1898) التي لا تقل أهمية في بناء تصوّرات "غريماس". ومن أمثلة ذلك تحليله (غريماس) لبحث "دوميزال" المتعلق بوصف العالم الإلهي وفق معطيات منطقية صورية ورياضية محددتا مستويين للوصف (الشكل) كما يلي:

. اختيار إله معين عن طريق استحضار أفعاله و وظائفه يشكّل عاملا في حد ذاته.

. استظهار أهم الصفات التي تميزه عن غيره من الآلهة بالإضافة إلى سماته الأخلاقية.

فالتعريف الأول منظور إليه من خلال وظيفة الإله (فعله)، والتعريف الثاني منظور إليه من خلال الأسماء والصفات، ومن ثم يميز "غريماس" بين مستويين للتحليل؛ إذ أن الوصف عنده لا يتمّ إلا بعد استخراج العوامل (المحتوى)؛ أي وصف العوالم الجزئية التي تتحرك فيها هذه العوامل. ووفق مقاييس دقيقة أوجد فروقا جوهرية بين الأسطورة والحكاية وهي فروق كانت محل تساؤل "دوميزال" طوال حياته، فالأسطورة تتسم بالتشخيص التصويري للعوامل في التركيب السردى على هيئة قائمين بالفعل (شخص)، بينما يفضل هؤلاء الشخصيات للظهور في الحكاية

على شكل موضوعات سحرية³³. وانطلاقاً من هذه المرجعيات المعرفية والفلسفية المختلفة أقام "غريماس" تصورات وطرح منها متميزاً لدراسة النصوص السردية بجميع أنواعها (مكتوبة أو شفوية).

ثالثاً. المبادئ العامة للسيمائية السردية:

يشكل المعنى الموضوع الأساسي للسيمائيات عامة؛ أي أن ما يهتمها بالدرجة الأولى فهم سيروية التدريل أو إنتاجية المعنى هذه الأخيرة (السيمائيات) التي تعددت اختصاصاتها فطرحت اتجاهات ومدارس كثيرة ومتشابهة تهدف كل واحدة منها إلى إيجاد نحو يعتمد لتحليل النصوص، فكان هم السيمائيات السردية من هذا المنظور "إيجاد نحو سردي يكون بمثابة نموذج Modèle له القدرة على التنبؤ ليس فقط بكل الأدعاءات السردية الفعلية بل كذلك تلك القابلة للإمكان"³⁴. فالسيمائيات تدرس النص الأدبي باعتباره علامة كبرى، فهي تعتبر الأبنية العامة للنصوص الأدبية نسقا من العلامات منغلقة على نفسه بعيدا عن أي سياقات خارجية كالواقع الاجتماعي، أو الوجود الإنساني على وجه العموم. ومرّد هذه النظرة على ما يبدو هو أن السيمائيات لا تفصل بين الظاهرة التجريبية الواحدة والمحيط العام الذي تظهر فيه، بل تستوجب شبكة من الأنساق المتشابهة، تضع هذه الظواهر في وحدة كبرى تتألف من كلية الأنساق المختلفة فتتقاطع وتتعارض في مواقف مختلفة وتتباعد في مواضع أخرى³⁵.

والمبدأ الأساس الذي تتركز عليه النظرية السيمائية. كما يوضح مصطفى الشاذلي. هو مبدأ (الاستقلال الوجودي للشكل السيميائي) المتفحص في بعده النحوي الشكلي الذي يفصل المكونين الصرفي والتركيب، وفي رؤيته الدلالية بصفته بنية دالة، فالهدف الأساسي بالنسبة إلى غريماس يكمن في تحديد المبادئ الرئيسية المتمثلة في تحديد مجال البحث والاستقلال المفهومي للموضوع والوصف التحليلي³⁶. فما كان يسعى إليه "غريماس" إيجاد قواعد محددة وشاملة للسرد بصفة عامة، وهذا ما دفعه للعمل على تقديم نماذج تحليلية للمضمون على مستوى سيروية المعاني من جهة ومقابلتها بنماذج شكلية تنظمها (المضامين) وتتحكم في إنتاج الخطاب من جهة أخرى، فغريماس يراعي في نظريته البنى السيمائية التي تتوسط "البنى الأساسية". حيث تتلقى المادة أولى تحليلاتها وتتكون في شكل دلالي. والبنى النهائية حيث تتجلى الدلالة عبر العديد من اللغات. يجهز هذا الحيز الواسع من أجل إقامة بنية وسيطة تنظم فيها البنى السيمائية. ومن بينها

البنى السردية . التي تتمتع بوضع مستقل ويشكّل مكانا تنتظم فيه التحليلات الإضافية للمضمون ونوعا من القواعد العامة والأساسية، في الوقت نفسه تنظم إنتاج الخطابات المنطوقة³⁷.

فالمهم في التحليل السيميائي ليس الوصول إلى ما قاله النص و إنما المهم هو الكيفية التي قال بها لنا هذا النص ما قاله، ف"المعنى لا يوجد فيما تحيل عليه الأشياء بدهاءة، بل مكمته السيرورة التي تتشكل من خلالها الأشياء باعتبارها دالة على معنى"³⁸ فالدلالة لا تتشكل إلا من خلال سيرورة و لا يتأتى ذلك إلا من خلال مستويين اثنين يستدعي أحدهما الآخر، فالبنية العميقة تستدعي البنية السطحية باعتبار أن توليد الدلالة كما يرى غريماس . لا يمر بإنتاج الملفوظات وعلاقتها بالخطاب بل إنها مرتبطة في مسارها بالبنى السردية المنتجة للخطاب ذا الدلالة المفصل إلى ملفوظات³⁹.

إن اهتمام "غريماس" منصب على السردية Narrativité لا على الطابع السردى للنصوص وقد حدّد شروط وجودها (السردية) "باعتبارها نشاطا مرتبطا بالسلوك الإنساني في وجود نموذج دلالي/ منطقي يشتغل كمعادل لبنية مشخصة. وفي هذا الاتجاه يقترح للانتقال من المستوى الأول إلى المستوى الثاني مسارا توليديا يقودنا من البنية الدلالية المنطقية إلى التّمظهر النصي عبر محطات تخضع لمجموعة من المقتضيات. وما دام الحديث عن السردية هو بشكل من الأشكال الحديث عن السيميائيات باعتبارها علما عاما للدلالة، فإن شروط إنتاج النص السردى لا تنفصل عن شروط إنتاج الدلالة باعتبارها سيرورة في الوجود وفي الاشتغال"⁴⁰.

فقراءة النص في بعده السردى السطحي كما يرى "غريماس" لا يمكن أن تظهر إلا ناقصة؛ إذ لا يعد هذا البعد معيارا كافيا للأخذ بنظام المحكي ما لم ينظر إلى الإسقاطات الاستبدالية التي تسمح بالحديث عن وجود البنيات السردية⁴¹، فغريماس اقترح نموذجا يقوم على التقابل بين الأضداد الثنائية ويرى أن " المعنى يقوم على أساس اختلافي وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة، وقد صاغ غريماس أفكاره هذه من خلال ما أسماه بالمربع السيميائي"⁴²

4. السعيد بوطاجين: الاشتغال العامل

أ) المنطلقات المنهجية:

استند الناقد "بوطاجين" في دراسته التطبيقية هذه على أعمال "غريماش" مخصصا إياها بإجراء سيميائي واحد اقتصر على البنية العاملة كما هو موضح في العنوان، وقد اعتمد البنى الشاملة دون الوحدات الصغرى المنتجة للمعنى، وهذا ما ألزمه "انتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية لتبيان أهم الاتصالات والانفصالات بين الذوات والموضوعات حتى يتسنى لنا توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بنى عاملية متميزة"⁴³

ونظرا لكون رواية (غدا يوم جديد) قائمة على عدد من الملفوظات والذوات ومتشابكة الرغبات، وقف ناقدنا على ما رآه جوهريا مركزا على الحديث عن البنى الصغرى التي تتطلب عملا موسوعيا، وهذا ما دفعه إلى انتقاء مجموعة من المقطوعات لخصها في خمسة جمل تمحور حولها الخطاب وتحددت على أساسها موضوعات خمس كالآتي⁴⁴:

مسعودة تريد الذهاب إلى العاصمة..... المدينة
مسعودة تريد تدوين حياتها..... الكتابة
الحبيب يريد الذهاب إلى الزاوية..... الزاوية
عزوز يريد الحصول على الأراضي..... الأرض
العمة حليلة تريد تزويج خديجة بقدر... المدينة.

ب) الإجراء النقدي:

حاول الناقد "بوطاجين" في المبحث الأول من دراسته، الكشف عن العلاقة القائمة بين الذات (مسعودة) وموضوع القيمة الذي مثلته الرغبة في الذهاب إلى المدينة؛ لأن الذات في وجودها السيميائي لا تتحدد إلا بعد دخولها في علاقة مع الموضوع، فهي كما يوضح "غريماش" "لا تتحدد إلا من خلال علاقتها بموضوعات القيمة وفي مشاركتها في عوالم أخلاقية متنوعة، وموضوعات القيمة هي بدورها ليست كذلك إلا إذا كانت هدفا للذوات، وبتعبير آخر ليس هناك تعريف ممكن للذوات دون وضعها في علاقة بالموضوع. وكذلك الشأن مع الموضوعات عند هذا الحد ستأخذ ذات الحالة شكل ملفوظ حالة تتحدد وظيفته من خلال علاقة الذات بالموضوع ذ ن م، ذ U م"⁴⁵

عمل الناقد. استنادا إلى هذه الصيغة. على تحديد كل عامل داخل الترسيم السردية التي اقترحها "غريماش"، وهذا بعدما عمل على توضيح أهم القوانين المنظمة لعالم المحكي بالاعتماد

على أنماط الوجود السيميائي كما طرحها ممثلة في (الفرضية، التحيين، الغائية)، مختصرا ما توصل إليه في جدول⁴⁶ توضيحي لمكونات الترسمة العاملة والوضيعات التي تحتلها مختلف العوامل ومدى اشتغالها من منظور النحو السردي؛ ف (مسعودة) . الذات، المرسل إليه . تمثل عاملا مشخصا فرديا، في مقابل (المدينة) . الموضوع . التي تمثل عاملا مجردا قيما وتحتل الدشرة دور المرسل الجماعي القيمي، أما (رجل المحطة، الدركيان، المسدس، القبعة، اللغة الغرابية) تأخذ وضع عامل معارض، إما مشخصا فرديا كما هو الحال مع (رجل المحطة)، أو مشخصا قيميا كما حال (الدركيان)، أو مشيئا فرديا (القطار)، أو مشخصا جماعيا قيما كما هو حال البقية.

حاول الناقد في المبحث الثاني المتعلق بموضوع الكتابة، إبراز أهمّ الانزلاقات التي يمكن حدوثها على مستوى البنية من خلال لعب استبدالي يهدف إلى تغيير البنى الجمالية للكشف عن إمكانية تغيير الأدوار العاملة من شكل بنائي إلى آخر، بعدها عمل الناقد على توضيح كيفية انتظام البرامج السردية والعمل على إبراز انحرافات مختلف البنى العاملة؛ فهذه الأخيرة "تعد البؤرة الأساسية التي يتم من خلالها الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي (أي من العلاقات إلى العمليات إلى الملفوظ السردية)"⁴⁷، وبالتالي نجد (مسعودة) تأخذ الدور العملي (المرسل) في الوقت الذي يحتل فيه الكاتب الدور العملي (المتلقي)، ثم يحدث استبدال في البرنامج السردية الثاني تأخذ فيه (مسعودة) الدور العملي الثاني (المتلقي) في حين ينتقل الكاتب إلى الدور العملي (المرسل)، ويبقى أبناء الأثرية متلقين⁴⁸، أما المبحث الثالث فقد خصصه الناقد لرصد كيفية تفصيل مجموع الحكايات التي تؤلف مجتمعة الحكاية الإطار، مع إبراز العلاقة المركبة بين مجموع الشخصيات التي تشترك في امتلاك رغبات وأهداف، كما حاول فيه الناقد إبراز كيفية المرور من شخصية إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر⁴⁹

ولتوضيح كيفية تحوّل الأرض إلى (موضوع قيمة) عمل الناقد على تحديد العلاقة بين مجموع الشخصيات والدّوات، كما عمل على توضيح أهم البرامج السردية الاستعمالية التي تساعد على المرور إلى الغائية من خلال عملية الهدبناء وكذا تفكيك جزئيات البنية العاملة، كما عمل في المبحث الخامس من الدراسة على توضيح العلاقة القائمة بين بعض الشخصيات وكيفية إسهامها في التوزيعات العاملة المركبة وأهم انزلاقاتها من مرحلة قصصية إلى أخرى. أما المبحث

السادس فقد خصه للمثلثات العاملة، وفيه التفت الناقد إلى بعض الشخصيات التي بدت له ثانوية لكنها تقوم بأدوار تسهم في تغيير مجرى الحكاية وتعقيد الأنظمة العاملة⁵⁰ وقد استطاع ناقدنا . بفضل الاقتراب من المكون الخطابي الذي يساعد على ضبط الصّور والمسارات الصورية . الإحاطة بالدلالات الجوهرية التي تختزق النص، فعلى الرغم من أنه "ترسم في مقارنته لهذا النص الروائي العربي، خطابا نقديا يتمرجع إلى جهاز نظري عرف بوفرة مصطلحاته وتعقد مفاهيمه، التي تداخلت وتقاطعت في بلورتها عدة علوم، إلا أنه استطاع من خلال التزامه بنسقية هذه المعرفة التي ترفد هذا الجهاز النظري وتصنع صرامته من جهة، ومن خلال تفاعله مع النص من جهة أخرى، استطاع اكتناه دلالات النص، والكشف عن بنيته العميقة عبر استقراء مكوناته ورصد شبكات العلاقات التي تحكمه وتفحص العلاقات القائمة فيما بينها والمجسدة لبنية كبرى معقدة هي بنية عالم المتخيل الروائي لرواية غدا يوم جديد. ولم تؤد به صرامة الأدوات الموظفة في التحليل وطابعها التقني إلى إغفال الوعي الجمالي الذي يرفد خطاب هذا المتخيل الروائي، كما لم تؤد به إلى إغفال خصائصه الجمالية وتقنياته التعبيرية"⁵¹

خاتمة:

نستطيع القول من خلال ما سبق أن الناقد "السعيد بوطاجين" أثناء تطبيقه للآليات الإجرائية التي اقترحها "غريغاس" قد تجاوز التطبيق الحرفي (الآلي) لها، مستعينا في تحليله للنص الروائي المدروس بالنص نفسه دون سواه، وقد عكست دراسته هذه مستواه العلمي ورصيده المعرفي في حقل السيميائية السردية.

هوامش:

¹ ينظر سعيد بن كراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع (سوريا)، 2012، ص 26.

² أمبرتو إيكو : السيميائية وفلسفة اللغة، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، لبنان)، 2005، ص 36.

³ Umberto Eco : Sémiotique et philosophie du langage, éd P U F, 1988, p : 10.

- ⁴ طائع الحداوي: سيميائيات التأويل؛ الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب)، 2006، ص 67.
- ⁵ سعيد بن كراد : السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 35، ع 3، 2007، ص 13، 14.
- ⁶ رشيد بن مالك : السيميائية بين النظرية والتطبيق؛ رواية نوار اللوز نموذجاً، مخطوط دكتوراه، جامعة تلمسان، 1994/1995، ص 110.
- ⁷ ينظر أحمد يوسف : السيميائيات الواصفة؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، المركز الثقافي العربي (المغرب)، 2005، ص ص 21، 22.
- ⁸ ينظر محمد مفتاح : أوليات منطقية رياضية في السيميائية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 35، ع 3، 2007، ص ص 157، 158.
- ⁹ ينظر آسيا جريوي: السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة؛ دراسة في ثلاثية بحار لحنا مينا، مخطوط دكتوراه، جامعة بسكرة، 2013، ص ص 12، 13.
- ¹⁰ ينظر المرجع نفسه، ص 14.
- ¹¹ ينظر سعيد بوعطية : المرجعيات المعرفية للسيميائيات السردية؛ غريماس نموذجاً، مجلة سمة الدولية، ع 1، 2013، ص 51.
- ¹² توما. ف. برودن : أ. ج. غريماس واللسانيات الفرنسية، تر رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، ع 5/6، ماي 2009، ص 19.
- ¹³ نادية بوشفرة : مباحث في السيميائيات السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع (تيزي وزو، الجزائر)، 2008، ص 10.
- ¹⁴ ينظر المرجع نفسه، ص نفسها
- ¹⁵ ينظر رشيد بن مالك : مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبه للنشر (الجزائر)، 2000، ص 9.
- ¹⁶ ينظر تقدم جميل حمداوي لكتاب جوزيف كورتيس : مدخل إلى السيميائية السردية، تر جمال حضري، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، 2007، ص 10.
- ¹⁷ Noam Chomsky : le langage et la pensée, tra : louis jean calvet, éd payot, paris, p : 36/ 45.
- ¹⁸ ينظر المرجع السابق، ص 12.
- ¹⁹ جيرالد برنس : قاموس السرديات، تر السيد إمام، ميراث للنشر والمعلومات (القاهرة)، 2003، ص 34.
- ²⁰ ينظر رشيد بن مالك : مقدمة في السيميائية السردية، ص 20.
- ²¹ ينظر نادية بوشفرة : مباحث في السيميائيات، ص 14.

²² ينظر محمد بادي : سيميائيات مدرسة باريس (المكاسب والمشاريع مقارنة ابيستمولوجية)، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 35، ع3، 2007، ص ص 299، 300.

²³ A. J. Greimas et J. Courtés : dictionnaire raisonné de langage, éd hachette (paris), 1979, p : 247.

²⁴ La préface d'A. J. Greimas dans : J. Courtés : Introduction à la sémiotique narrative et discursive, éd classique hachette (paris), 1986, p : 10.

²⁵ ينظر جوزيف كورتيس: التحليل السيميائي للخطاب، تر أحمد منور، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، ع 2، 2006، ص 113.

²⁶ المرجع نفسه، ص ص 133، 134.

²⁷ ينظر نادية بوشقرة : مباحث في السيميائيات السردية، ص 22 وما بعدها.

²⁸ المرجع نفسه، ص 24.

²⁹ ينظر سعيد بن كراد : السيميائية السردية؛ مدخل نظري، منشورات الزمن (الرباط، المغرب)، 2001، ص 27 وما بعدها.

³⁰ ينظر فلاديمير بروب : مورفولوجيا الحكاية الخرافية، تر أبو بكر أحمد باقادر، أحمد عبد الرحيم نصير، النادي الأدبي الثقافي (جدة)، 1989، ص ص 158، 159.

³¹ ينظر رمان سلدن : النظرية الأدبية المعاصرة، تر جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع (القاهرة)، 1991، ص 97.

³² سعيد بن كراد : السيميائية السردية مدخل نظري، ص 39.

³³ ينظر نادية بوشقرة : مباحث في السيميائيات السردية، ص ص 15، 16.

³⁴ جمال كديك : السيميائيات الأدبية هدف واحد ورؤى متعددة، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، ع 7 / 8، 2010 / 2011، ص 103.

³⁵ ينظر فيصل الأحمر : معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، 2010، ص 60.

³⁶ ينظر المصطفى شاذلي : السيميائيات؛ نحو علم دلالة جديد للنص، تر محمد معتصم، رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة)، 2015، ص 16.

³⁷ أ. ج. غريماس : في المعنى؛ دراسات سيميائية، تر نجيب غزاوي، مطبعة الحداد (اللاذقية، سوريا)، 1999، ص ص 13، 14.

³⁸ سعيد بن كراد : إمكانات النص ومحدودية النموذج، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، ع 2، 2006، ص 59.

- ³⁹ ينظر المرجع السابق، ص 13.
- ⁴⁰ سعيد بن كراد: السيميائيات السردية؛ مدخل نظري، ص ص 50، 51.
- ⁴¹ Le préface de Greimas dans : j. courtés : introduction à la sémiotique narrative et discursive, p : 10.
- ⁴² فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 229.
- ⁴³ السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية غدا يوم جديد، منشورات الاختلاف (الجزائر)، د ت، ص 10.
- ⁴⁴ ينظر المرجع نفسه، ص ص 20، 21.
- ⁴⁵ أ. ج. غريماس: السيميائية السردية (المكاسب والمشاريع)، تر سعيد بن كراد، ضمن كتاب رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورا اتحاد كتاب المغرب (الرباط، المغرب)، 1992، ص 190.
- ⁴⁶ ينظر المرجع السابق، ص 36.
- ⁴⁷ السعيد بن كراد: السيميائيات السردية، ص 69.
- ⁴⁸ المرجع السابق، ص 48.
- ⁴⁹ ينظر المرجع نفسه، ص ص 10، 11.
- ⁵⁰ ينظر المرجع نفسه، ص ص 11، 12.
- ⁵¹ فادة عقاق: سيمياء النص السردية في النقد الجزائري المعاصر، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، ع 4/3، 2007، ص 270.